تدبر سورة التحريم

المحاضرة:17

(الآية 8):

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾

١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾

- نداء إلى المؤمنين: ارجعوا من ذنوبكم إلى طاعة الله، وإلى ما يرضيه عنكم.
- اجعل لك بعد هذه المحاضرة قراراً واضحاً: أن تتوب من ذنب، أو ترجع إلى الله.
- يدعونا الله للتوبة ويحب أن يغفر لنا، بل ويفرح بتوبة العبد، فمهما أخطأت، إذا رجعت إليه بصدق، يقبلك ويعفو عنك.

٢ معنى التوبة النصوح

- أي: توبة خالصة صافية من الشوائب.
- وأصل الكلمة من قول العرب: "نصحت العسل" – أي صفّيته من الشوائب.

٣ شروط التوبة

- 1- أن تكون التوبة خالصة لوجه الله تعالى.
- 2- الندم على ما فعل من الذنوب والمعاصي.
- 3- الإقلاع التام عن الذنب.
- 4- العزم الصادق على عدم العودة للذنب.
- 5- ردّ الحقوق لأصحابها إذا كانت هناك مظالم.
- 6- الإكثار من الأعمال الصالحة تكفيرًا للسيئات.

فإذا تحققت هذه الشروط، كانت التوبة نصوحًا؛ وأي نقص في ذلك يجعل التوبة غير كاملة.

٤ التوبة غير النصوح

- هي توبة غير خالصة لله أو غير صادقة، يشوبها نقص في النية أو العزم.
- **ومن أمثلتها:**

التوبة لأجل الناس.
ترك الذنب لعدم القدرة عليه، لا كراهية له.
ترك المعصية لأسباب دنيوية
من يترك الذنب مؤقتًا، فلو زال السبب عاد إليه.

٥ من دلائل خلل التوبة

- التلذذ بذكر المعصية أو التفاخر بها.
- الاستمرار في الذنب مع إدعاء التوبة.
- نية الرجوع للمعصية لاحقًا (توبة مؤقتة).
- عدم ردّ الحقوق لأصحابها.

٦ خاتمة النداءات للمؤمنين جاءت بالتوبة

- يُعد النداء في سورة التحريم آخر نداء لأهل الإيمان في ترتيب المصحف.
- مهما قصّرت، ومهما أذنبت، فباب التوبة لا يُغلق فاجعل خاتمتك توبة صادقة، لعلها تكون سبب نجاتك، وخاتمة أمرك.

٧ المداومة على التوبة

- قال النبي ﷺ:"إني لأتوب إلى الله في اليوم أكثر من سبعين مرة."

٨ ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾

- "عسى" في كلام البشر تفيد الرجاء، أما من الله فهي وعد محقق، ولذلك قال العلماء:
- "عسى من الله واجبة"، أي متحققة الوقوع، ووعد من الله لمن تاب أن يغفر له.
- قال ﷺ: "كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون." والله لا يملّ من المغفرة حتى يملّ العبد من التوبة.

٩ ﴿وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾

- فالله لا يكتفي بالمغفرة، بل يُكرم عباده بالجنة، التي هي أعظم من أعمالهم.

١٠ ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ﴾

- كرامة النبي والمؤمنين يوم القيامة، فقد كان من دعائه ﷺ:"اللهم لا تخزني يوم القيامة"
- وكان يبكي خوفًا على أمته، وقد وعده الله عز وجل أن يرضيه في أمته ولا يَسُوءُهُ، فالنبي عليه الصلاة والسلام يشفع لأمته يوم القيامة، وقد استجاب الله عز وجل له.
- والخزي هو خزي يوم القيامة، أي العقوبة؛ فطالما أنه لا يُخزي، فهذا يعني أنه لا يُعذبهم.

١١ التفريق بين مقام الأنبياء

- إن هذه الدعوة المباركة شبيهةٌ بدعوة إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: (وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ)
- فعندما ذكر الله سبحانه وتعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام، كان التركيز على الدعوة نفسها.
- أما عند ذكر النبي ﷺ، فكان التركيز على استجابة الدعوة واقتران المؤمنين بالنبي ﷺ في عدم الخزي فيه تشريف وتعظيم لهم، وهذا يظهر الفرق بين مقامه ﷺ وبقية الأنبياء.

تدبر سورة التحريم

المحاضرة:17

١٢ ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾

- يُعطى الإنسان يوم القيامة نورًا على قدر عمله.
- في بداية المشهد يوم القيامة، يكون المؤمنون والمنافقون معًا، لأن الله سبحانه وتعالى يمكر بالمنافقين ويجزيهم على نفاقهم، فيجعلهم مع المؤمنين، فيظنّ المنافق أنه قد نجا كما كان مستترًا في الدنيا ثم يحدث تمييز الصفوف: يتقدّم المؤمنون بنورهم ويبقى المنافقون في الظلمات ثم يُضرب بينهم بسور، ويبدأ العذاب على المنافقين. حينها عندما يرى المؤمنون أن نور المنافقين قد انطفأ، يخافون ويقولون: (يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ)
- ينبغي للمسلم أن يُكثر من هذا الدعاء: "ربنا أتمم لنا نورنا."
- الشريعة كلها نور، بل الدين كله نور.

١٣ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥٓ﴾

- الإيمان الصحيح، على منهج أهل السنة والجماعة، فكلما كانت العقيدة صحيحة:
- كان النور أعظم، ثم يزيد بقدر العمل الصالح. واحرص
- ألا تبتدع في الاعتقاد، أو في العمل، أو تقصر في الطاعات.

(الآية 9):

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾

١ جهاد الكفار

يكون بعدة أنواع:

- 1- جهاد القلب: بإنكار كفرهم والبراءة منهم.
- 2- جهاد اللسان: بدعوتهم إلى الله ونصحهم وبيان فساد معتقدهم.
- 3- جهاد الحجة: بالمناظرة والرد على الشبهات.
- 4- جهاد القلم: بالكتابة والتأليف والنصح.
- 5- جهاد اليد (عند القدرة): وهو القتال في سبيل الله.

٢ جهاد المنافقين

- هو يشبه جهاد الكفار، لكن لا يكون بالقتال (باليد)، وإنما يكون:
- 1- بالقلب: ببغض نفاقهم وعدم الرضا به.
- 2- باللسان: ببيان باطلهم والتحذير منهم.
- 3- بالنصح والتشديد: بنصحهم والإنكار عليهم عند الحاجة.
- 4- بإقامة الحدود: إذا ظهر منهم ما يستوجب ذلك شرعًا. وذلك لأن المنافق غالبًا سلاحه لسانه، فيُواجه بما يناسبه.
- فالحل: بالتضييق والرد عليهم، وعدم تمكينهم، والتحذير منهم.

(الآية 10):

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾

١ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا﴾

- القرب من الصالحين لا ينفع بدون عمل صالح.
- قال النبي ﷺ "ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه."
- خطر الاغترار بالعلاقات: فلا يكفي صلاح من حولك، بل لا بد من عملك أنت.

٢ ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾

- بإجماع العلماء؛ ليس المقصود خيانة الفراش، فلم تزنِ امرأة نبي قط.
- والخيانة هنا كانت في الدين.
- لا يبتلي الله نبيًّا بهذا، فقد تكون زوجته كافرة، لكنها لا تكون زانية.

٣ حال امرأة نوح وامرأة لوط

- كان دورهما الإعانة على المعصية ونشرها.
- امرأة نوح عليه السلام: كانت كافرة، تؤذي الدعوة بكشف المؤمنين وإبلاغ قومها عنهم.
- امرأة لوط عليه السلام: كانت راضية بفاحشة قومها، وتدلّ عليها، وتُخبرهم بقدوم الضيوف.

٤ خطورة الرضا بالمعصية

- أن من يرضى بالمعصية كمن يفعلها.
- فلا يفعل الحرام، لكنه يراه أمرًا عاديًا أو حرية شخصية.
- وقد كانت امرأة لوط كذلك: لم تفعل الفاحشة، لكنها رضيت بها، فهلكت.
- إن خيانة العقيدة هي أعظم خيانة، كما وقع لامرأتي نوح ولوط.
- قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)

تدبر سورة التحريم

المحاضرة:17

٥ دروس وعبر من القصة

- 1-ينبغي للمرأة الصالحة أن تعين زوجها وتسانده على الحق.
- 2-لا يُغترّ بأمانة الكافر في المال أو المعاملات، لأنه خان أعظم أمانة، وهي أمانة الدين.
- 3- لا تتعجب من الخيانة قد يصدم الإنسان بخيانة من أحسن إليهم.
- 4- الهداية بيد الله.
- 5- الابتلاء في الأسرة قد يكون الرجل صالحًا ويُبتلى بزوجته، أو العكس.
- 6- الصبر على الابتلاء أجره عظيم
- 7- لا ينفع الإنسان صلاح غيره إن كان عمله فاسدًا.

(الآية 11):

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

١ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾

- هي آسية بنت مزاحم، التي كانت مثالًا للثبات والإيمان رغم كفر زوجها، فقد كان من أعظم الطغاة، ومع ذلك آمنت، فصارت من أفضل نساء الجنة.
- قال النبي ﷺ: "أفضل نساء الجنة: خديجة بنت خويلد، فاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسيا بنت مزاحم."
- الظروف ليست مبررًا وعذرًا فلا يُعذر الإنسان بفساد البيئة فالحق يُتبع في كل حال.
- وكان يوسف عليه السلام مثال ذلك؛ ثبت على دينه في بيئة فاسدة، في السجن والملك، حتى شهد له بالإحسان

٢ من إيمان آسيا وسط الطغيان

- لما رأت موسى عليه السلام رضيعًا وأخذته راجية للخير فيه
- ولما علم فرعون بإيمان زوجته، اشتدّ غضبه وأمر بتعذيبها. فثُبِّتت يداها ورجلاها بالأوتاد، وتُركت تحت أشعة الشمس الحارقة في الصحراء. وكان يأتيها بين حين وآخر، يطلب منها أن تتراجع عن إيمانها، لكنها كانت ترفض بثبات، وفي أثناء ذلك، أكرمها الله بأن أرسل ملائكة تظلّلها، تخفيفًا عنها. ولما أصرت على إيمانها، أمر فرعون بإلقاء صخرة عظيمة عليها لتُقتل بها. لكن الله برحمته قبض روحها قبل أن تصل الصخرة إلى جسدها، فلم تشعر بالألم، وكان ذلك لطفًا وتكريمًا لها.
- كلما اشتد البلاء، زاد عون الله؛ فقد أراها بيتها في الجنة، فهان عليها العذاب، كما يخفف الله عن الشهداء.

٣ المرأة مع الزوج الكافر

- خالفت آسيا فرعون في كفره، ولم يضرّها ذلك.
- قال قتادة: "ما ضرّ إمرأة كفر زوجها حين أطاعت ربها" فالله لا يؤاخذ أحدًا إلا بذنبه.
- قد يعيش الإنسان في أشد البيئات فسادًا، ومع ذلك يبلغ أعلى المراتب بصدق الإيمان والصبر.
- الله ينصر المؤمنين، ويجعل البلاء زيادةً في إيمانهم، ويأتيهم بالفرج في أشد اللحظات.

٤ ﴿إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

- لما ثبتت آسيا بنت مزاحم، طلبت من الله بيتًا في الجنة.
- لقد كان ثباتها نتيجة معرفتها بالحق ورفضها للباطل، فمن ذاق الباطل وعرف حقيقته، كان أشد تمسكًا بالحق وأبعد عن الرجوع إليه، كما كان حال الصحابة رضي الله عنهم. وكلما استحضر الإنسان الآخرة، ازداد ثباتًا واستقامة.
- قال أنس بن النضر في غزوة أحد: "إني لأجد ريح الجنة من وراء أحد"، واقتحم صفوف المشركين بشجاعة مستحضرًا الآخرة.
قراءة القرآن وتدبره وذكر الآخرة يرسخان الصبر والاحتساب، ويجعلان القلب عارفًا للحق، فتذوب ملذات الدنيا الزائلة أمام يقين النعيم الأبدي كما تجلّى في قلب آسيا، التي رفضت كل مظاهر الظلم والفساد التي كان يمثلها فرعون
كانت ماشطة بنت فرعون تعمل في قصره، وقد آمنت بالله سرًا. فلما علم فرعون بإيمانها، أمر بتعذيبها هي وأولادها حرقًا، لترجع عن دينها، لكنها صبرت وثبتت.
وأمام عينيها، أُلقي أولادها واحدًا تلو الآخر في النار، وهي محتسبة صابرة. حتى جاء دور طفلها الرضيع، فتعلّقت به وكادت تضعف من شدة الألم.
عندها أيّدها الله، فأنطق الرضيع قائلًا: "يا أمّاه، اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة". فازداد ثباتها، وألقت بنفسها في النار.

٥ ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

- براءتها من طغيان زوجها وأفعاله.
- لا يستقيم الإنسان على الهدى إلا إذا تبرأ من طرق الضلال.

تدبر سورة التحريم

المحاضرة:17

(الآية 12):

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾

اختارها الله واصطفاها وطهرها وجعلها من أعظم نساء العالمين.
فعن النبيﷺ قال: " كمل من الرجال كثير، وما كمل من النساء إلا آسيا امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام".

١ مريم ابنة عمران نموذج للابنة الصالحة في أسرة صالحة

- كانت نشأتها في بيت والدها عمران عليه رحمة الله، الذي أرسى قواعد الطاعة والزهد والعبادة في حياتها، فكانت تربيتها متوافقة مع المبادئ الصالحة.
- الحفاظ على العفة والطاعة، هو ما يميز المرأة الصالحة عن غيرها، ويجعلها نموذجًا يُحتذى به.

٢ الضغط الاجتماعي والشهوات هي التحديات الكبرى للمرأة

- أي فتاة تواجه في حياتها مساحتين رئيسيتين من الاختبار:
- الضغط الاجتماعي: تأثير المجتمع عليها بما يفرضه من سلوكيات أو توقعات، وقد يشكل اختبارًا لقدرتها على الالتزام بالقيم الصحيحة.
- فتنة الشهوات: محاولة الانجذاب إلى علاقات محرمة أو مغريات جسدية، سواء بالكلمات أو المظاهر أو الصور، وهذا اختبار لحفظ النفس والطهارة.
فالمرأة غالبًا ما تتأثر بسهولة بالكلمات الرقيقة أو الإطراء العاطفي، لذلك كانت آسيا امرأة فرعون مثالًا للصلابة أمام الضغوط، وحافظت مريم على عفتها في كل المواقف.
- قد تواجه بعض الفتيات اليوم صعوبة في الالتزام بالحجاب أو الاستقامة بسبب تأثير المجتمع أو المغريات المحرمة.
- العفة والطهارة: حماية ورفعة للمرأة فالعفة أعلى درجات الحفظ؛ وهي حماية النفس من كل ما يفسدها، وتجنب العلاقات المحرمة، والنظر بشهوة، والعادات السيئة، وكل ما يسيء إلى الشرف.

٣ ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾

- فقد حفظت مريم طهارتها وصانت نفسها عن الحرام، وهذا يظهر أهمية العفة والطهارة في حياة المرأة.
- الحفاظ على العفة يمنح المرأة تميزًا ورفعة عند الله، سواء بالحجاب أو بالابتعاد عن العلاقات المحرمة.

٤ مريم بنت عمران نموذج للعبادة والطاعة

- كانت مريم تخدم بيت المقدس، وتميزت بالعبادة والعبودية الخالصة، مع الحفاظ على عفتها.
- جاءها جبريل عليه السلام على هيئة بشر، ففزعت منه وقالت: (قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا)
[مريم: ١٨-٢١]
هذا يوضح حياءها وعفتها وحفاظها على طهارتها.

٥ ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾

- أرسل الله جبريل فنفخ في جيب درع مريم العذراء، فوصلت النفخة الرحم، فحملت بعيسى عليه السلام.

٦ ﴿مِن رُّوحِنَا﴾

- نسبة تشريف فقط.

٧ ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾

- رضيت بأقدار الله، وصدّقت بشرائع الله وكتبه المنزلة.

٨ ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾

- أي كانت مداومة على العبادة والطاعة، خاضعة لأوامر الله.
- التعبير بصيغة المذكر (ٱلْقَٰنِتِينَ) فيه إشارة إلى أنها قد بلغت في الطاعة درجة عالية، حتى عُدّت في زمرة أكمل العابدين، وغالبًا ما يُعبَّر عنهم بصيغة المذكر للتغليب، وشدة الطاعة.
- فائدة من ذكر (ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ) العفة والطهارة تجعل المرأة سببًا لرفع شأن أسرتها وذكرها والديها بالخير.
والبركة والأثر الصالح يمتد من المرأة إلى الأسرة كلها.

- المرأة الصالحة والملتزمة تجعل من بيتها ومن أسرتها مثالًا يُحتذى به، بينما انعدام العفة يشوه السمعة ويضع الأسرة في مواقف محرجة.
- الحفاظ على العفة والطاعة والاجتهاد في العبادة يرفع المرأة عند الله ويجعلها سببًا للخير لعائلتها.
ينبغي للرجال أن يروا في هذه النماذج النسائية حافزًا لهم للجد والاجتهاد والعمل الصالح.